الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

لجنة التنظيم

رئيس لجنة التنظيم:

الدكتور المصري مبروك عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أعضاء لجنة التنظيم

- أ. محمد عبد الرحمان قاسي
- د. الطاهر مشري
- د. أحمد جعفري
- أ. الصديق مقدم
- أ. أحمد شكيب بكري
- أ. إدريس بن خويا
- أ. عبد القادر اقصاصي
- باسة عبد النبي

لجنة الطبع والإخراج:

عبد الرحمن بوظفـــر
عمـــــــــار بكراوي
باطيـــــــر عمـــــار

الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

رئيس الملتقى

أ.د. عيسى قرقب — مدير جامعة أدرار

رئيس اللجنة العلمية

أ. عبد الله رزوقي — جامعة أدرار

أعضاء اللجنة العلمية

أ. محمد عبد الرحمان قاسي	جامعة أدرار
د. الطاهر مشري	جامعة أدرار
د. أحمد جعفري	جامعة أدرار
د. محمد الأمين خلادي	جامعة أدرار
أ. عبد العزيز ابليلة	جامعة أدرار
أ. خالدي ميزاتي	جامعة أدرار
أ. مبارك بلالي	جامعة أدرار

أعضاء اللجنة العلمية	ب
الفهـرس العـام	ج
ديباجة الملتقى	ه
محاور الملتقى	و

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

01	**أ.عبد الحفيظ تحيريشي**	**مفاهيم النص**	**13**
02	**أ. كريمة صمباوي**	**النص عند القدماء "بحث في الماهية"**	**19**
03	**أ. عبد العزيز ابليلة**	**النص التراثي: محاولة في تحد يد المفهوم**	**24**
04	**أ. محمد عبد الرحمان قاسي**	**القراءة: وإشكالية المصطلح**	**33**
05	**د. إبراهيم صدقة**	**تصور التراث النقدي للنص الأدبي ابن طباطبا أنموذجا**	**38**

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

06	**د. شعيب مقتونيف**	**القراءات المتجدّدة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير**	**53**
07	**أ. عبد الله حبيبي**	**من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.**	**61**
08	**أ. إدريس بن خويا**	**النص الأدبي – من بنية المعنى إلى سيميائية الدال–**	**70**
09	**أ. مبارك بلالي**	**قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي**	**74**
10	**أ. محمد حاج قويدر**	**قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور مصطفى ناصف عرض وتقديم**	**77**
11	**د. بوجمعة شتوان**	**إستراتيجية الاستعارة في الصورة التراثية**	**84**
12	**د. عبد الحليم بن عيسى**	**"النص التراثي وآليات قراءته التداولية" –نقد النثر لقدامة بن جعفر نموذجا–**	**90**
13	**أ. خالدي ميزاتي**	**النقد الأركوني للتراث : قراءة علمية أم إديولوجيا؟**	**104**
14	**أ. بريـك الضاوية**	**المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي**	**107**
15	**أ. عبد الله مقلاتي**	**نقد التراث والتاريخية في مشروع محمد أركون الفكري**	**113**

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

16	د. عبد الكريم بكري	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث	119
17	د. قـادة عقاق	وعي التراث وإشكاليات قراءته (مدخل إلى دراسة العلامة في التراث العربي الإسلامي)	127
18	أ. سعاد شابي	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي	136
19	أ. الصديق حاج أحمد	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – أطروحات الدكتور طه عبد الرحمان أنموذجا	142
20	أ. عز الدين حفار	معيار التماسك في النص الشعري قراءة في معلقة عنترة بن شداد	155

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

21	أ. محمد بوسعيد	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي نموذجا"	159
22	أ. أحمد شكيب بكري	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية حكاية سالم والساحر _ لمحمد ديب _ دراسة سيميائية.	169
23	أ. نعيمة سبتي	قراءة النّص التراثي في الخطاب العربي المعاصر (من التنظير الحديث إلى التطبيق المعاصر)	186
24	أ. سليمان قوراري	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي سامي سويدان وريتا عوض نموذجا	194
25	الأستاذ: صديق مقدم	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص الشعرية	199
26	Intervenant: Yahiaoui. Abderrahmane	Apprentissage du français dans la région de TOUAT	206
27	الأستاذ: عبد الحق خليفي	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية	213

ديباجة:

لا يزال التراث العربي – الإسلامي، بمختلف نصوصه وخطاباته، يطبع جوانب أساسية من حياتنا أفراداً وجماعات، ولذا فقد كان من الطبيعي أن يحتل موقفاً متميزاً في ثقافتنا الحديثة والمعاصرة، سواء بتوظيفه في الصراعات الإيديولوجية التي تشهدها الساحة الفكرية والسياسة عندنا، أو بمساهمة الباحثين والدراسين في إحيائه وإعادة قراءته وفق مناهج ورؤى مختلفة، مما جعل تلك القراءات تتراوح بين الفهم التقليدي الذي يحول النص إلى نموذج تاريخي مغلق وفهم آخر – علمي . قائم على توظيف التجديد المنهجي الحاصل في علوم الإنسان والمجتمع أملاً في لحظة تاريخية تضع الأمة في قلب العالم والعصر.

ولمّا كانت القراءات الحديثة التي تناولت النص التراثي . العربي . أكثر من أن تحصى، فقد رأى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أدرار أن يجعل من تلك القراءات نفسها موضوعاً لقراءات أخرى مشروعة وضرورية، وذلك من خلال تنظيم ملتقى وطنيّ موضوعه: (النص التراثي وإشكالية القراءة) ليكون مناسبة للتعريف بأهم المناهج الحديثة، ومقولاتها، وأدواتها الإجرائية، ومرجعياتها الفكرية والإيديولوجية، وامتحانها في حقل النصوص التراثية لبيان حدودها.

محاور الملتقى الوطني

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

برنامج سير الأشغال

التاريخ	التوقيت	البيان
الاثنين: 2008/04/21		**استقبال المشاركين من جامعات الوطن**
الثلاثاء: 2008/04/22	**09:30 – 08:00**	**الافتتاح الرسمي**
	12:30 – 10:00	**الجلسة الأولى**
	18:30 - 16:00	**الجلسة الثانية**
الأربعاء: 2008/04/23	**10:00 - 08:00**	**الجلسة الثالثة**
	12:30 - 10:30	**الجلسة الرابعة**
	19:00 – 16:00	**الجلسة الخامسة**
	18:30 – 18:00	**الجلسة الختامية**

* برنامج أشغـال الملتقـى الوطني الثالث *

" النَّـص التُّـراثِـي وإشكَـاليـَّـة الـقـرَاءة "

الثـلاثـاء :22 أبـريل 2008 .

الفـتــرة الصـبـاحيـــة: 08:00 – 12:30 .

09:30 – 08:00	مـراسيم الافتتـــاح. - الافتتاح بآيـات قـرآنيــة. - الاستمـاع للنشيد الوطني. - كلمة السيد عميد كليـة الآداب . - كلمة السيد رئيس قسم اللغة العربية. - كلمة السيد رئيس اللجنة العلمية للملتقى(السيد الأمين العام للجامعة). - كلمـة ممثـل الأسـاتذة الضيـوف - كلمة السيد رئيس الجامعة.
10.00-09:30	استـــــــراحـــــة .
12:30 – 10:00	الجلســة الأولـــى . المحـــور الأول: النص التراثي تحديد المفاهيـــم .

رئيس الجلسة	المتـدخــل	الجامعة	عـنــوان المــداخلــة
د/أحمد جعفري	د/إبراهيم صدقة	ج/ سطيف	تصور التراث النقدي للنص الأدبي " ابن طباطبا" أنموذجا
	أ/ كريمة صمباوي	ج/ أدرار	النص عند القدماء "بحث في الماهية"
	أ/ عبد العزيز أبليلة	ج/ أدرار	النص التراثي: محاولة في تحديد المفهوم
	أ/ عبد الرحمان قاسي محمد	ج/ أدرار	القراءة : إشكالية المصطلح
	أ/ محمد الأمين خلادي	ج/ أدرار	أطاريح التراث العربي ومفاهيم دراستها
	أ/ عبد الحفيظ تحريشي	ج/ أدرار	مفاهيم النص .

الفـتـرة المسـائيـة: 16:00 – 18:30.

الجلســة الثانيـة : المحـور الثاني: القراءات النقـدية للنص التراثي ، وصف وتقديم .

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ الطاهر مشري	د/شعيب مقنونيف	ج/تلمسان	القراءات المتجددة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير
	أ/حبيبي عبد الله	ج/ أدرار	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لابن حزم القرطاجني
	أ/لعلمي حدباوي	ج/ أدرار	قراءة إحسان عباس للتراث
	أ/بن خويا إدريس	ج/ أدرار	النص الأدبي من بنية المعنى إلى سيميائية الدال
	أ/أبلالي مبارك	ج/ أدرار	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي
	أ/الحاج قويدر محمد	ج/ أدرار	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور "مصطفى ناصف"عرض وتقديم
استراحـــــــة			

الأربعاء :23 أبريل 2008 .

الفـتـرة الصباحيـة: 08:00 – 12:30

08:00- 10.00 .الجلسة الثالثة: المحور الثاني : **القراءات النقدية للنص التراثي : وصف وتقديم**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
أ .د/ بكري عبد الكريم	د/بوجمعة شتوان	ج/ تيزي وزو	إستراتيجية الاستعارة في الصورة الشعرية التراثية.
	د/بن عيسى عبد الحليم	ج/ وهران	النص التراثي وآليات قراءته التداولية نقد النثر لقدامة بن جعفر – أنموذجا
	أ/خالدي ميزاتي	ج/ أدرار	النقد الأركوني للتراث :قراءة علمية أم إيديولوجيا؟
	أ/ باريك الضاوية	ج/ أدرار	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي
	أ/مقلاتي عبد الله	ج/أدرار	نقد التراث والتاريخانية في فكر محمد أركون
	أ/خليفي عبد الحق	ج/أدرار	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية

استراحـــــة

10:30 -12.30 الجلسة الرابعة:المحور الثالث:**القراءات الحديثة للنص التراثي/المناهج الحديثة وآلياتها**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ محمد الأمين خلادي	أ.د بكري عبد الكريم	ج/ وهران	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث
	د/قادة عقاق	ج/ س/ بلعباس	وعي التراث وإشكاليات قراءته(الخطاب السيميائي نموذجا)

	د/مشري الطاهر	ج/ أدرار	إشكالية قراءة التراث الصوتي العربي من خلال كتاب (المجمل في المباحث الصوتية) د. مكي درار
	أ/شابي سعاد	ج/ أدرار	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي
	أ/الحاج أحمد الصديق	ج/ أدرار	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – "د / طه عبد الرحمان ".أنموذجاً.
	أ/بكري أحمد شكيب	ج/أدرار	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية: "حكاية سالم والساحر لمحمد ديب نموذجا" دراسة سيميائية

الفـتــرة المسـائيــة :16:00 – 19:00 .

18.00-16:00 الجلسـة الخـامسـة: المحورالرابع: مقـاربات تطبيقيـة للنص التـراثي .

رئيـس الجلسة	المتــدخـل	الجـامعــة	عـنــوان المــداخلـــة
أ/ عبد الرحمـان قـاسي محمد	أ/حفار عز الدين	ج/ مستغانم	معيار التماسك في النص الشعري "قراءة معلَّقة عنترة بن شداد"
	أ/بوسعيد محمد	ج/ الشلف	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي أنموذجاً
	أ/سبتي نعيمة	ج/ أدرار	قراءة النص التراثي في الخطاب العربي المعاصر من التنظير الحديث والتطبيق المعاصر .
	أ/قوراري سليمان	ج/ أدرار	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي. سامي سويدان و ريتا عوض نموذجا
	أ/مقدم صديق	ج/ أدرار	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص شعرية
	أ/ يحياوي عبد الرحمان	ج/ أدرار	LE FRANCAIS COMME LANGUE D' E'CHANGE ET LE PATRIMOINE CULTUREL LOCAL.
استراحـــة			

الجلسـة الختـاميـة: 18.00–18.30 .قراءة التوصيات واختتام أشغال الملتقى .

المحور الثاني:

القراءات النقدية للنص التراثي: وصف وتقييم

المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي

الأستاذة: بريك الضاوية

جامعة أدرار

إن إعادة قراءة التراث، حتمية تفرضها عدة عوامل حضارية وتاريخية، يتجلى الحضاري منها في قيمة هذا التراث، باعتباره إرث معرفي إنساني في حاجة إلى إعادة الاكتشاف والبعث.

أما الجانب التاريخي فيتمثل في الواقع الراهن في حياة الأمة العربية والإسلامية، الذي تتقمصه الرغبة في نفض غبار التخلف والاستعداد للنهوض من جديد. ولن يتأتى ذلك لأية أمة إلا إذا ارتكزت على دعامتين أساسيتين: الانفتاح على الآخر، والانفتاح على الذات.

إن رفض الآخر، انغلاق وتعصب، ورفض الذات طمس لمعالم الهوية وقطع لجذور الأمة التاريخية. وهي معطيات تقف في وجه النمو، وتعوق التقدم. ولنا في الحضارة الأوروبية المعاصرة خير مثال. فهي لم تخرج من نفق الظلام، وتحقق قفزتها العملاقة إلا بعودتها لإحياء تراثها الإغريقي والروماني، وإفادتها من الحضارة العربية الإسلامية.

إن إحياء تراثنا الأدبي وإعادة قراءته، تندرج ضمن هذه الحتمية التاريخية الحضارية. وهذه القراءة تتطلب هذه الازدواجية الفعالة، الانفتاح على الذات والانفتاح على الآخر.

لقد عانى تراثنا جملة – بما فيه التراث الأدبي – من القراءات الاسقاطية التي تظهر فيها تسلط الحاضر على الماضي. واعتماد الانتقائية. حيث يأخذ الدارس من التراث ما يشاء، ويترك ما يشاء ليصل إلى تأكيد وإثبات رؤيته الخاصة ومرجعيته وأهدافه التي من أجلها يقرأ التراث.

بينما أن القراءة الموضوعية للتراث. يجب أن تبدأ من النظر إليه كظاهرة مكتملة يؤثر كل جزء منها في الآخر.

وهي الإشكالية التي طرحها المفكر المغربي طه عبد الرحمان في كتابه(تجديد المنهج في تقويم التراث)، فهو يرى أن التقويم الذي يغلب عليه الانشغال بمضامين النصب التراثي ولا ينظر إليه في الوسائل اللغوية والمنطقية التي أنشئت وبلغت لها هذه المضامين، يقع في نظرة تجزيئية للتراث(1) فهو يدعو إلى قراءة النص التراثي بتوظيف المرتكزات الفكرية والأدوات الإجرائية التي أنبني بها النص وليس بتطبيق مناهج غريبة عنه. فهو يؤكد أن قراءة النص التراثي(2) هي «مطالبة النص بالتدليل على وسائله ومضامينه»(3).

وهو ما نبه إليه أيضا الدكتور جابر عصفور في كتابه(قراءة التراث النقدي). حيث حدد شروط لقراءة النص التراثي، فدعا إلى تعمق النص بحد ذاته، فلا نسقط معارفنا الذاتية عليه ولا نحاكمه وفق ظروفنا التاريخية، ومعطياتنا الفكرية.

وهذا ما وقع فيه نقاد الحداثة إذ أن معظم النقاد الذين قرأوا ودرسوا النص التراثي بالمناهج الغربية الحديثة، طبقوها عليه بحذافيرها، دون مراعاة الفرق الشاسع، بين المكونات والمرجعيات المعرفية والوجدانية والتاريخية لكل من النص والمنهج.

لذلك لم تحقق تلك القراءات أهدافها النقدية الأدبية والجمالية في غالب الأحيان، ولم تقترب من ذوق القارئ العربي ولا قربت النصوص التراثية إليه، بقدر ما أبعدتها عنه أشواطا.

وقد طرح هذه المشكلة في وقت مبكر من تاريخ نقدنا الأدبي الحديث المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم في كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) إذ يقول في مقدمة الكتاب:

«وعندي أن هذا الفريق قد أخطأ خطأين أساسيين:

أحدهما: أن الأدب العربي الذي يطالبونه بهذه المذاهب الكتابية والفنية، التي فاضت بها الآداب الأجنبية، كان ولا يزال أدباً قديماً، نشأ منذ عهد بعيد، في بيئات طبيعية وعقلية، واجتماعية تخالف هذه البيئات التي أنشأت الأدب الحديث فليس من المعقول أن يتساوى النوعان. وليس من الإنصاف وصدق الموازنة أن نتلمس في أدبنا القديم خواص لا يواتيه بها عصره الماضي، ولا بواعثه الغابرة.

ثانيهما: أن قوانين النقد الأدبي وأصوله، لا تفرض على الأدب فرضاً، ولا تلقى عليه إلقاء وإنما يحب أن تستنبط من نصوصه الممتازة على أنها خواص وجدت فيها فأكسبتها القوة والجمال وجعلتها قادرة على التأثير والخلود»(4).

إن رفض الآخر والانغلاق على الذات، توجه رفضه هذا البحث منذ البداية. إذ لا ينكر عاقل أن انفتاحنا على مناهج النقد الغربي الحديثة، قد أفاد تراثنا الأدبي، إذ أدى تنوع المناهج النقدية إلى تعدد القراءات، وإلى تعدد الخطابات النقدية التي تمهد لتلك القراءات.

لكن ما يجب مناقشته، هو عقلنة هذا الانفتاح. وهو ما تجلى عند عدد من النقاد العرب في الدعوة إلى المنهج التكاملي وسيحاول هذا البحث مناقشة وجهين، من أوجه هذا المنهج يمكن اعتبارهما بعدين أساسيين في رؤية وقراءة النص التراثي:

1- المنهج التكاملي الحديث، والذي هو محاولة الاستفادة من كل المناهج الحديثة وتركيب آلياتها ووسائلها الإجرائية اعتماداً على منطق الانسجام والائتلاف. لتجاوز إشكالية أحادية المنهج وما تطرحه من عوائق في تحليل النصوص الأدبية.

2- المنهج التكاملي المشكل من اندماج المنهج التكاملي الحديث ومعطيات الرؤية النقدية التراثية الأصلية، المنبنية على مقاييس البلاغة، وخصائص اللغة العربية.

وإن لم يكن هناك في حقيقة الأمر "مدرسة غربية أو شرقية في النقد الأدبي لها مسمى المدرسة التكاملية، وليس هناك حقيقة منهج يسمى المنهج التكاملي، الذي تكون له أسس نظرية أو تطبيقية ثابتة"(5).

إلا أن هذه الرؤية أضحت واقعا وضرورة تفرض نفسها. بعدما أثبت التاريخ النقدي الحديث، فشل الرؤى الأحادية، وشهد على سقوط المناهج النقدية الواحد تلو الآخر.

لقد كان السيد قطب، سباقاً في نقدنا العربي الحديث، في الدعوة إلى المنهج التكاملي في كتابه: (النقد الأدبي: أصوله ومناهجه) فهو يرى أن «المناهج تصلح وتفيد حينما تتخذ منارات ومعالم، ولكنها تفسد وتضر حين تجعل قيوداً وحدوداً، فيجب أن تكون مزاجاً من النظام، والحرية، والدقة والإبداع »(6).

ويقوم تصوره للمنهج التكاملي على أنه: " متكامل من منهجين أو ثلاثة المنهج التأثري، والمنهج التقريري، والمنهج الذوقي أو الجمالي. فإنما آثرناه لأنه أقرب المناهج إلى طبيعة العمل الأدبي. ولكننا لم نقصد أن يكون هو المنهج المفرد فالملاحظة النفسية عنصر هام فيه والملاحظة التاريخية ضرورية في بعض مناحيه"(7).

وتطالعنا رؤية أخرى للمنهج التكاملي، أكثر نضجاً وعمقاً، هي رؤية الناقد الدكتور نعيم الياقي، الذي لا يفترض الإيمان بمنهج مطلق صالح لكل نتاج أدبي لأي تجربة قديمة أو معاصرة أو قادمة.

ف: «بعد أن عاين مجمل الفاعليات النقدية المعاصرة والسابقة عليه، فاختبرها وأمعن في تفكيك آلياتها، اقتحم عزلتها وأشار إلى مكامن الضعف فيها، عندما تتمترس وراء هذا المنهج أو ذاك، واكتشف أن ما يفعله الناقد المعاصر هو اللجوء إلى منهج ما، يحتمي به ويحفظ آليات عمله ويكررها هنا وهناك، دون الالتفاف إلى خصوصيات طارئة قد تبدو في تجربة أدبية ليس من الضروري أن تتناغم مع المنهج الذي يؤمن به هذا الناقد ويجعله مفتاحاً لكل النصوص » (8).

وانطلاقا من ذلك يرى أن المخرج الموضوعي المعقول لهذه المشكلة هو المنهج التكاملي، الذي يصفه بالتركيبي، لاعتقاده أن هذه المناهج تحمل في طياتها جزئيات مفيدة لكنها لا تحيط بعالم الأدب من كل جوانبه، ولا تصل إلى كل طبقاته الداخلية.

فهو يقدم رؤية كاملة لهذا المنهج في كتابه (رحلة إلى الأعماق) وفي حواراته الصحفية التي جمعها بعد وفاته، محمد جمال الطحان في كتابه (رحلة إلى الأعماق). فيحدد الأسباب الداعية لهذا المنهج والأسس التي ينبغي أن يقوم عليها، كالانفتاح والموسوعية والانتقائية والتركيب واضعًا ذلك في سياقه الثقافي والحضاري العام فهو يربط بين المنهج النقدي ومطالب أخرى مشروعة للإنسان كالديمقراطية والتعددية وحرية التعبير(9).

لقد واجهت هذه الرؤية العديد من الانتقادات، وعد الكثيرون هذا المنهج محاولة تلفيقيه وانتقائية مشوهة، «لكن الحقيقة تنافي أقوالهم، لقد رسخ (جون ديوي) فلسفة التكامل التي انبثقت عنها دراسات في علم النفس...رأت أن الإنسان ظاهرة معقدة تدخل في بنائه عوامل متعددة وشديدة التعقيد. ولم يكن بد من الاستعانة بالموسوعية والشمولية والاتكاء على نظريات وعلوم مختلفة. والإفادة ومن شتى المذاهب والاتجاهات لذلك ساد في مصر وبخاصة في الدراسات السيكولوجية والاجتماعية هذا المنهج...ثم امتد ذلك إلى النقد الأدبي" (10).

وفي رأينا أن ذلك طبيعي، لأن الأدب هو الصورة الأقرب إلى طبيعة النفس الإنسانية الشديدة التعقيد والتركيب.

وما يجب التشديد عليه، أن المنهج ماهو إلا أداة وآلية لقراءة النص وليس هدفاً في حد ذاته. واعتماد المنهج التكاملي سيؤدي إلى: «محاولة إنجاز قراءة دقيقة، يطرح ناقد الأدب، في مختلف أطوارها العملية، أسئلة جد مركزة، بهدف أن يفتح بها آفاقا جديدة وفضاءات مغمورة في أجواء ممارسته النقدية، مستعيناً بخلاصة ما

انتهى إليه من قراءات نقدية منهجية»(11). مع الأخذ بعين الاعتبار أن الشرط الأساسي لنجاح المنهج التكاملي، هو قدرة الناقد وإمكانياته في الفهم والتعمق في آليات المناهج المختلفة.

مما يؤهله لتحقيق عملية التكامل بشكل سليم، لا يبدو فيه التنافر والتضاد في الأجزاء المتكاملة، وإنما يكون التآلف شرطا عميقاً وأساسياً. يقول الشاعر الناقد الدكتور علي جعفر العلاق: " إني أرى أن الناقد يمكن له أن يستفيد من جملة المناهج النقدية، شريطة أن يكون بينهما علاقة من التفاعل، وعلاقة من التجانس، بحيث تبدو هذه المجموعة من الإمكانيات منصهرة ومستوعبة ضمن رؤية هذا الناقد. ومن ثقافة هذا الناقد وعند ذاك تكون هذه الأدوات جميعا في خدمته خلال عملية النقد والتحليل"(12).

إن هذا المنهج التكاملي المتشكل من الانفتاح على المناهج النقدية الحديثة جملة. وتركيب آلياتها وأدواتها، لإتاحة مقاربات أكثر فاعلية للنصوص الأدبية. يبدو حلاً موضوعياً وإن كان نسبياً، لقراءة الأدب العربي المعاصر.

ونؤكد على كلمة "نسبي" لأن الاختلاف بين المكونات الفكرية والمرجعيات الحضارية والثقافية لكل من المناهج الغربية والنصوص العربية، يحتاج إلى وعي وحس نقدي عند التطبيق.

وسيكون الأمر أكثر تعقيداً، إذا حاولنا تطبيقه على التراث الأدبي. إذ ستبرز إشكالية الخلفية التاريخية بمعطياتها المتعددة كعائق حقيقي.

لذلك لابد من بلورة تكاملية أخرى أكثر تعقيداً، تتمثل في الجمع بين المنهج التكاملي المعاصر ومعطيات النهج النقدي العربي الأصيل، المؤسس على خصائص اللغة العربية ومقاييسها والمنبني على حيثيات الدرس البلاغي ومكونات الذائقة العربية.

وهذا الكلام ليس من ضرب التلاعب بالألفاظ، والأفكار الخيالية التي تفتقر إلى أية مرجعية واقعية. بل هو مطلب منهجي عميق، يواجهنا بحدة عند محاولة البحث عن المنهج المناسب لقراءة النص الأدبي العربي التراثي، بل وحتى المعاصر لأن البعض طبق هذه الرؤية على نصوص الأدب العربي المعاصر. كما فعل الدكتور صابر عبد الدايم في كتابه (شعراء وتجارب: نحو منهج تكاملي في النقد التطبيقي).

كما تتجلى هذه الرؤية، في المسعى التأصيلي للمرحوم شكري عياد، والمتمثل في "محاولته غربلة النظريات الغربية الحديثة وإقامة بعض نظرياتها ومصطلحاتها على أسس عربية، عن طريق المزاوجة بين تلك النظريات ومعطيات التراث(13).

واستطاع في هذا المنحنى التجريبي أن يبلور "النقد التكاملي الذي تتضافر فيه خيوط الأصالة وخيوط الحداثة، فقدم رؤية للبلاغة العربية اعتماداً على (التأصيل). لقد جعل انفتاح البلاغة العربية على (الأسلوبية) ما يقدم إلى العقل العربي برؤية خاصة، أكثر منطقية، وبالتالي أكثر قدرة على البقاء(14).

وكما أشرنا سابقاً، يزداد هذا المطلب حتمية وإلحاحاً، عند التعامل مع النص الأدبي التراثي. وانطلاقاً من مبدأ أن المنهج النقدي ينبغي أن يناسب ويقارب طبيعة النص المشتغل عليه، فإن الاستئناس بمعطيات التراث النقدي، ضرورة علمية تفرض نفسها في هذه الحالة.

خاصة إذا اعتبرنا، كما يذهب الناقد السوري محي الدين صبحي: "التراث النقدي العربي من أثمن التراث النقدي عالمياً، إذا نظرنا إليه كتراث مخصص لنقد شعر معين، وأمة معينة وحضارة معينة، ضمن هذه

الخصوصية يبرز النقد العربي كأفضل تراث في العالم القديم والوسيط يمكن الاستفادة منه في الوصل بين الماضي والحاضر"(15).

إن الدعوة إلى خلق تكاملية مركبة، تجمع بين مناهج نقادنا القدامى المنبنية على روح العربية ومعطياتها النحوية والبلاغية والمنهج التكاملي الحديث. هو محاولة إيجاد أداة نقدية أكثر فاعلية لقراءة النص التراثي. تتيح للناقد سبر أغوار المناهج الحديثة والقديمة، ليأخذ منها ما يناسب النص المدروس وما يراه وسيله مساعدة لكشف خبايا النص وإبراز جواهره وأسراره الدفينة. وليست عملية ترقيعية تلفيقية تنبئ عن العجز عن اكتشاف واختيار المنهج المناسب لقراءة النص التراثي.

إنه مسعى تجريبي يحاول أن يستفيد من عصارة الفكر النقدي العربي القديم والنقد الحديث الذي لا يمكن اعتباره "ملكاً للغرب أو الشرق، وإنما هو نتاج الثقافة الإنسانية العامة، لكونه انبثق من تفاعلات فكرية كبرى بدأت من وجود الإنسان، وامتدت عبر أجياله، وتداخلت وتنقلت بين أفراده على اختلاف أجناسهم وأمكنتهم. وإلا فهل يملك الغرب حق الادعاء بأنهم أوجدوا نظرياتهم بمعزل عن أفكار اليونان القديمة، ومناهج الفلاسفة المسلمين من بعدهم؟"(16).

إن الفكر الإنساني عملية معقدة مركبة، نابعة من الإنسان ومستمرة في الزمن. وعملية الأخذ والعطاء بين مختلف العناصر المكونة لهذه التركيبة ظاهرة إنسانية بديهية، ولا نحتاج " إلى تأكيد أن العزلة الثقافية، حتى بالنسبة لمن يحلمون بها، أصبحت ترفاً مستحيلاً"(17) بل منحى انغلاقي إقصائي، لا يثمر إلا الجذب والفناء.

الهوامش:

1- تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمان، ص:23، عن مقال: آليات قراءة النص التراثي، أحمد تزكنرمت: www.Fassila.maktooblog.com

2- انظر: آليات قراءة النص التراثي، أحمد تزكنرمت.

3- تجديد المنهج في تقويم التراث، ص33.

4- تاريخ النقد الأدبي عند العرب (من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري)، الأستاذ: طه أحمد إبراهيم،دار القلم، بدون طبعة، بيروت لبنان، ص6.

5- الخطاب النقدي وقراءة التراث، الدكتور: إبراهيم أحمد ملحم، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007، ص12-13.

6- النقد الأدبي (أصوله ومناهجه)، سيد قطب، دار الشروق، ط 5، 1403 هـ - 1983م، ص8 (المقدمة).

7- المرجع نفسه، ص255.

8- الناقد د. نعيم الباقي ومفهوم المنهج التكاملي " منهج من لا منهج له"، د. سعد الدين كليب، مجلة الموقف الأدبي العدد 281، أيلول 1994.

9- المرجع نفسه.

10- أزمة النقد والنقاد، محمد جمال الطحان، جريدة النور السورية، العدد164. 2004/06/18، WWW.an-nour.com

11- بين العمل الأدبي العربي والمنهج النقدي، د أبوشامة المغربي، منتديات أسواق المربد، www.merbed.net

12- من حوار مع الشاعر د. جعفر العلاق، أجراه جهاد فاضل، www.alallaq.com

13- حوار مع الناقد سعد البازغي، حاوره: كرم نعمة، جريدة الزمان الجديد، www.azzaman.com

14- الخطاب النقدي وقراءة التراث(نحو قراءة تكاملية)، ص11.

15- حوار مع الناقد السوري محي الدين صبحي، جريدة الزمان، العدد 1329، 2002/10/04، www.azzaman.com

16- في تشكل المنهج النقدي(مقاربات منهجية معاصرة)، عبد القادر الرباعي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1998، ص:173، عن الخطاب النقدي وقراءة التراث (نحو قراءة متكاملة)، ص137.

17- المرايا المقعرة (نحو نظرية نقدية عربية)، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، ص184.